الاستعارة وتحليل الخطاب السّياسي الإعلاميّ

- مقاربة عرفانيّة-

Metaphor and analysis of media political discourse

-Cognitive approach-

أ. لامية قداش *

د.خليدة بن عياد♣

تاريخ الإرسال: 2020/02/14	تاريخ القبول:2020/04/15	تاريخ النشر:2020/06/30

الملخص:

تعدّ الاستعارة أحد المباحث اللّغويّة الّتي أثارت ولازالت تثير و تستقطب انتباه البّاحثين والدّارسين إليها وأضحت حاضرة في أسيقة حياتنا اليوميّة ومواضعاتنا الاجتماعيّة و الدينيّة والسياسيّة، فالبّحث الاستعاري انفتح على علوم كثيرة ومتعدّدة بحيث تجاوز تلك الرؤية التقليديّة الّتي جعلت منه بحثا في الزخرفة والجماليّة إلى رؤية أرحب وأوسع مما جعل الفصل بين أنساقنا التصوريّة والتفاعلات الواقعيّة شبه مستحيل فنجاح أيّ تفاعل كلامي يتوقّف على إدراك معنى الاستعارة وضمنيّاتها التداوليّة فهي كامنة في الذّهن ومتجسّدة في ممارساتنا، ويسعى هذا البّحث إلى قراءة البنى الاستعاريّة لنماذج من الخطابات السّياسيّة الإعلاميّة والكشف عن آليّات اشتغالها ومواطن تجلّيها فيها وكذا إبراز الأدوار الّتي تؤدّيها في توجيه مثل هذه الخطابات لتحقيق أهدافها وبلوغ مقاصدها.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السّياسي؛ النظريّة التصوريّة للاستعارة؛ الإسقاط الاستعاري؛ المزج التصوّري.

المؤلف المرسل: لامية قداش، l.keddache@univ-boumerdes.dz

***جامعة أمحمد بوقرة بومرداس**، l.keddache@univ-boumerdes.dz

♣ **جامعة أمحمد بوقرة بومرداس**، benayadkhalida@yahoo.fr

Abstract:

Metaphor is one of Language detective that has raised and continues to raise and attract the attention of researchers and scholars to it and has become present in the arteries of our daily lives and our social, religious and political subjects. Metaphor research has opened up on so many sciences that it transcends the traditional vision that has made it a search for decoration and esthetics to a wider vision, making it almost impossible to separate our conceptual tissues and realistic interactions. The success of any verbal interaction depends on understanding the meaning of metaphor and its parliamentary meanings, which are inherent in the mind and embodied in Our practices.This research seeks to read metaphors of models of media political speeches, reveal their mechanisms of engagement and their citizens, and highlight their roles in directing such speeches to achieve their goals and reach their goals.

***Keywords**: political discours, conceptual metaphor theory, conceptual projection blending.*

*** *** ***

1-مقدمة:

شهدت العقود القليلة الأخيرة ميلاد حقل معرفيّ واسع تتقاطع فيه مجموعة من العلوم سعي العلم المعرفي الّذي يسعى الى فهم الإدراك والتّفكير وفهم اللّغة والتعلّم وظواهر ذهنيّة أخرى ففي ظلّ هذا الطرح الجديد لم تعد الاستعارة حكرا على الأدباء والشّعراء بل أصبحت مندّسة في كل خطاباتنا اليوميّة بدون استثناء، و الاستعارة وفق هذا الطّرح تقوم على الإسقاط ولكن ليس إسقاطا آليّا وإنّما هو إسقاط يقوم على الانتقاء والاختيار والّذي يخضع بدوره للسياقات الاجتماعيّة والثقافيّة والإيديولوجيّة هذه الأخيرة الّتي تسمح بتوليد وتوسيع الاستعارات الجديدة.

لقد أحدثت هذه المقاربة اللّسانيّة العرفانيّة ثورة على الفكر وعلى النظريّة البلاغيّة فلا يخفى علينا أنّ مسألة المجاز ككلّ كانت قديما مسألة لغويّة إلى أن جاءت هذه النظريّة لتقوّض تلك الأفكار و تركّز على التمثيلات الذّهنيّة والسيرورات العرفانيّة في الدماغ وتعيد النظر في رد أصولها إلى الذهن؛ إذ كان للمباحث العرفانيّة الدّور الكبير في تجديد التعامل

مع الاستعارة فهي لم تعد خاصيّة من خاصيّات الخطاب الأدبي فقط بل هي متجذّرة في أذهاننا وتجاربنا الحياتيّة وتعدّ كتابات كل من لايكوف (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) مؤسّسة لنظريّة الاستعارة حيث أسهمت في الكشف عن عمل العقل في بناء الصّور حيث اهتمّت بدراسة الاستعارة الّتي تعد من أهمّ ضروب المجاز باعتبار أنّ المجاز عندهم هو جوهر المعنى والتّفكير فما نعرفه من خروج أو عدول عن مستوى الكلام العادي ليس إجراء جماليا بقدر ما هو ممارسة إجرائيّة ملاحقة للتفكير بل هي الفكر نفسه، هذا الاتجاه اللّساني الحديث انبنى أساسا على التحليل المفهوميّ والتصوّري للأنظمة اللغويّة المستعملة أو بعبارة أخرى يعدّ هذا التيار اللّغة ملكة ذهنيّة وإدراكيّة، فالاستعارة ليس مكانها اللّغة وإنّما في الطريقة الّتي نتصوّر بها مجالا ذهنيّا ما من خلال مجال آخر.

يحاول البّحث وبالاستناد إلى آليّات التّحليل اللّساني العرفانيّ الكشف عن الأبعاد الّتي يختزنها الخطاب السّياسيّ في شطره الإعلاميّ؛ أيّ من زاويّة الاستعارات التصوريّة الّتي تحكم بناءه من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: **ماذا نعني بنظريّة الاستعارة التصوريّة؟ وما طبيعتها؟ وكيف نتصوّرها؟ وما هي الاستعارات المؤسّسة للخطاب السّياسي الإعلامي؟ و كيف تفسّر الاستعارة جدليّة الإظهار والإضمار السياسيّين؟ وكيف نفسّر حصول عمليّة الفهم؟.**

الخطاب السّياسيّ خطاب مشبّع بالاستعارات كما يقول الدّكتور صالح بن الهادي رمضان يقتضي: " نوعا من الخطاطات الذّهنيّة الّتي يشتقّ منها معجم الخطاب جذوره الاستعاريّة القادرة على الإفهام والإقناع والتواصل وتقريب وجهات النّظر وإحداث التفاعل الإيجابي بين المتخاطبين."[1] فلم تعد الاستعارة في ظل النظرية العرفانيّة ظاهرة لغويّة تنتج عن عملية استبدال أو عدول عن معان حرفيّة إلى معان مجازيّة وإنّما هي عمليّة إدراكيّة كامنة في الذّهن تؤسس أنظمتنا التصوريّة وتحكم تجربتنا الحياتيّة بمعنى أنّ الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصوريّة لسانيّة ، فالاستعارات تحدّدها ثقافة الخطيب السياسيّة ومرجعيّاته الثقافيّة والإيديولوجيّة سواء عن قصد أو عن غير قصد فتصبح الاستعارة

إستراتيجيّة يوظّفها الخطيب لإيهام ومغالطة مخاطبه وبناء خطابه على حجج قويّة للإقناع والتّأثير فيه وعموما فإنّ الاستعارة آليّة هامّة من آليّات اشتغال الخطاب السّياسيّ.

2- النظريّة التصوريّة للاستعارة (conceptual metaphor theory)؛ **المفهوم والنّشأة**

ظهرت البحوث اللّسانيّة العرفانيّة سنة 1970م كردّ فعل على النظرة الموضوعيّة للعالم مُحدثة بذلك قطيعة مع كلّ التصوّرات السّابقة ولقد كانت أوّل انطلاقة بكتاب (الاستعارات الّتي نحيا بها (Metaphors We Live By لكلّ من جورج لايكوف (George Lakoff) ومارك جونسون(Mark Johnson) الّذي كان بمثابة ثورة على الأفكار السّابقة حول الاستعارة؛ حيث انتهيا إلى أنّ الاستعارة حاضرة في كافة مجالات حياتنا وبالتّالي " أطلق جورج لايكوف (George Lakoff)صرخة مدويّة في فضاء الفلسفة الغربيّة فأعلن عن أخطاء الفلسفة القديمة في مقدّمات كتبه ومقالاته وفي خواتيمها أحيانا ودعا إلى فلسفة جديدة لا ترى صدقا مطلقا ولا معنى موضوعيّا ولا يتعالى فيها الفكر على الجسد ... فلم يعد المجاز حليّة للخطاب وإنّما أصبح بنيّة عصبيّة تصوريّة تظهر من خلال الخطاب"[2] ففلسفة جورج لايكوف(George Lakoff) والعرفانيون كافة قائمة على أساس التجربة الّتي تلعب دورا أساسيّا في تنظيم العالم إذ " يتّهم جورج لايكوف (George Lakoff) النظريّة الموضوعيّة بالفشل لأنّها أهملت دور الجسد في إضفاء المعاني على التصوّرات ودور ملكة الخيال في إبداع التصوّرات وهما أساس النظريّة العرفانيّة التجريبيّة"[3] فمبحث الاستعارة يعدّ من أهمّ مباحث اللسانيّات العرفانيّة وقد شكّل البّحث فيها " حاضنة لانبثاق الأفكار الجديدة حول التواصل البشري وبخاصة الأفكار القائلة بتصوريّتها وبدور الجسد في المعرفة وفي تأسيس النّسق التصورّي للكائن البشري هذا النّسق الّذي عدّ ذي طبيعة استعاريّة في جزء كبير منه .ولما كان هو الموجّه للسلوك اللّغوي وغير اللغوي فإنّ الطبيعة الاستعاريّة له تنعكس بدورها على هذه السلوكيّات البشريّة في شكل طبيعي"[4] فهي آليّة من آليّات التفكير البشري فهذه النظرية تربط إنتاج المعاني بالبنية التصوريّة الذهنيّة وفي

علاقتها بتفاعل الجسد بالعالم الخارجي أين تصبح الاستعارة آلية لقراءة الواقع فتنتظم بذلك البنية التصوريّة من خلال ترابطات عبر مجاليّة أو توافقات بين المجالات التصوريّة.

ولقد كان ينظر إلى الاستعارة سابقا باعتبارها مشابهة موجودة بشكل قبلي مستقلّة عن تجربة الإنسان إلى أن جاء التصوّر العرفاني واعتبر أنّ فرضيّة المشابهة هي فرضيّة كاذبة[5] ويركّز على البعد التجريبي ويعتبرها "ظاهرة تصوريّة وما اللّغة إلا أحد وجوه تجليها"[6] فلم تعد الاستعارة حلية جماليّة أسلوبيّة بل أصبحت مع التصوّر العرفاني آليّة ذهنيّة قائمة على البنينة فلقد عرّفها جورج لايكوف (George Lakoff) ومارك جونسون (Mark Johnson) بكونها " آليّة جوهريّة في حصول الفهم البشري كما تشكّل آليّة لخلق دلالات جديدة وحقائق جديدة في حياتنا"[7] فلا تقوم على المشابهة ولا على النقل وإنما" على تمثّل الأشياء الواحد منها على أساس الآخر بعدا عرفنيّا آليّا غير واع ولذلك مثّلت اللّغة في جريانها بمستويّاتها المختلفة اليوميّ العاديّ والأدبيّ منها مجالا لها بل إنّ الاستعارة الشّعريّة امتدادا للاستعارة اليوميّة العاديّة"[8] وبالتّالي فهي" تخلق المشابهات عن طريق تفاعل الإنسان مع عالمه التجريبي وهي تقوم على فهم ميدان تصوّري ما عن طريق ميدان تصوّري آخر ومن هنا يمكن للاستعارة أن تخلق العالم بخلقها لمشابهات جديدة، ويمكنها إعادة تشكيل تصوّراتنا وأفكارنا ورؤيتنا للأشياء من حولنا"[9] وكان هذا ثمرة انتقال معرفي خصب يهتم بنجاعة وفعاليّة العبارة في سياقاتها وبمسالك بناءاتها الذهنيّة في سائر الخطابات بعدما كان ينظر إليها بمعزل عن المقام التواصلي وعن دلالتها الاجتماعيّة والسياقيّة والخطابيّة وأصبح ينظر إليها من خلال كونها ظاهرة لغويّة تكشف عن تصورات الناس ومعتقداتهم وأفكارهم .

إنّ" التصوّر الاستعاري لا يلغي ذهن الإنسان وفاعليّة الجسد والخيال والثقافة ودورهما في تنظيم العمل أيّ أنّنا نشتغل وفق المقاربة التجريبية التي تستمد مشروعيّتها الإبستمولوجية من أفكار النظريّة الجشطلتية "[10] فالذّهن البشري حاضر بقوة في التّفكير الاستعاري للإنسان فالاستعارة عمليّات تصوريّة ذهنيّة تنعكس في اللّغة الإنسانيّة فهي " إحدى الوسائل الذهنيّة لتمثيل المعرفة وبناء المعنى والتعامل مع العالم الخارجي والداخلي

من أجل بناء تصوري وإعطاء معنى له بطريقة ما وليس بأيّة طريقة وانعكاس ذلك في اللّغة في مظاهرها المختلفة وخاصة المظهر الدّلالي منها"[11] فالاستعارة آليّة ذهنيّة تتمظهر عبر الممارسات اللّغويّة أعطي للمعنى مكانة هامة لها علاقة بالإدراك في ظلّ نظريّة الاستعارة التصوريّة لا معنى للأشياء خارج الإدراك فلقد " انتهى الأمر بالمنظرّين للغة والعرفان إلى الإقرار بأنّه لا يكتمل فهم اللّغة والقدرات اللّسانيّة دون تمثّل واضح للمجاز"[12] وبالتّالي فمن الضروري " إرجاع الاستعارة إلى مكانتها الحقيقيّة وإلى موقعها الطبيعي إلى الذّهن حيث المعرفة والأفكار والمعاني والفهم"[13] فالاستعارة وفق هذا التصوّر تتجاوز كونها ظاهرة لغويّة صرفة لتغدو مظهرا ثقافيّا يرتبط بالتّفكير.

ويأتي بعد ذلك سلطان كوفيتش (z.kovecs) ويُجري إضافات على تصوّر جورج لايكوف(George Lakoff) ويسلّط الاهتمام إلى إبداعيّة الاستعارة هذه الإبداعيّة لا تظهر فقط في إبداعات الشّعراء والمتفننين في الخطاب اللّغوي فحسب بل إنّ حديثنا اليومي وخطابنا المتداول مشحون باستعارات تواضعيّة جديدة وباستعارة مستحدثة، والأمر الثّاني هو الاهتمام بالسياق في فهم الاستعارة وتأويلها فالاستعارة ليست مجرّد إسقاط لميدان مصدر على ميدان هدف في تصوّر تجريدي متعال بعيدا عن السّياق التلفّظي الّذي يحدّد دلالة الاستعارة ومقاصد المتكلّم [14] وتقوم نظريّة الاستعارة التصوريّة (conceptual metaphor theory) على فهم المعنى الاستعاري باعتباره ذا طبيعة تصوريّة يقوم على فهم (أ) عن طريق (ب) فالميدان الهدف والميدان المصدر مختلفان بينما في نظرية الدمج المفهومي هناك تمش داخلي في شبكة من الفضاءات الذهنيّة تنتج دمجا أو انصهارا بين العناصر المكوّنة للفضاءات الدخل[15]

وعمل جورج لايكوف (George Lakoff) و معه العرفانيّون على إعطاء المعنى مكانة هامّة لها علاقة بالإدراك بحيث نستخدم الاستعارة لإعطاء معنى لما نفعله بواسطة أذهاننا باعتبار أنّ الاستعارة جزء من البنيّة التصوريّة للإنسان وبالتّالي فبناء المعنى هو بحد ذاته بناء للتصوّرات لذا فالمعنى تصوّري؛ أيّ أنّ محلّه ذهن المتكلّم وذهن السّامع وليس في

الجمل والتعابير فهو يعطي من خلال بنيّة تصوريّة وبما أنّ جزءا كبيرا من البنيّة التصوريّة للغة ذو طبيعة استعاريّة والبنيّة التصوريّة أساسها تجربتنا الفيزيائيّة والثقافيّة ...فالمعنى لا يمكن أن يكون متجردا أو موضوعيا فهو يقوم دائما على اكتسابنا لنسق تصوري وعلى استعمالنا إياه إضافة إلى ذلك يحدّد الصدق نسبة إلى نسق تصوّري معيّن وإلى الاستعارات التي تبنينه فالصدق ليس مطلقا أو موضوعيّا إنّه يتأسّس بالأحرى على الفهم "[16]إنّ مسألة الصدق في ظلّ النظريّة التجريبيّة مرتبطة بالتصوّر كما أنّه ليس مطلقا أيّ أنّه على الفهم وبالتّالي بالمعنى يتأتّى من خلال "التفاعل بين المكوّن الدّلالي والمكوّن التداوليّ حيث يمكن لمستعمل اللّغة باثا أو متقبلا أن يتأوّل معاني الألفاظ والعبارات بالرجوع إلى السّياق الذي قيلت فيه والمعطيات التي حايثتها بالإضافة إلى ما يعرفه من الخصائص الدلاليّة المعجميّة "[17] يشير هذا القول إلى أهميّة المعطيات والظّروف السياقيّة في تأويل العبارات الاستعاريّة و دور المكوّن التداولي بصفة عامة في تجلية وتأويل الاستعارة " فلا معاني ثابتة تحملها الاستعارة خارج تداولها" [18] ولهذا تعود مركزيّة الاستعارة في النظريّة الدلاليّة العرفانيّة إلى مركزيّتها في إدراك المعنى وفهم الإنسان لنفسه، وتمثّله الوجود من حوله بحيث تلعب دورا أساسيّا في بناء الخطابات الثقافيّة المختلفة الّتي ينتجها الإنسان فالاستعارة تحكم نظامنا التصوّري وتجربتنا الحياتيّة [19]

3-الإسقاط الاستعاري في التواصل السّياسيّ

الإسقاط الاستعاري (conceptual projection) أو المفهومي أو كما يسميه جورج لايكوف(George Lakoff) بإسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال المصدر على المعارف المرتبطة بالمجال الهدف فالاستعارة تقوم " من حيث بنيّتها على الإسقاط ما بين المجالات وهو إسقاط جزئيّ غير تناظريّ (غلبة المجال الهدف) والإسقاط جملة من التناسبات الثّابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف" [20] ويقوم الإسقاط ما بين المجالات على "التناسب ما بين المجال المصدر والمجال الهدف والشّرط في قيام التناسب الحفاظ على الأبعاد الطوبولوجيّة في المجال المصدر وهي الأبعاد الكبرى الأساسيّة الّتي ينبني عليها ذلك المجال وتكون بنيّته الخطاطيّة "[21] فللإسقاط دور هام في قيام الاستعارة

وهو ليس عمليّة ميكانيكيّة آليّة وإنّما هي بنى في الفهم الإنساني للمجالات تتضمّن التجارب الحياتيّة ثم إنّ الإسقاط عبارة عن "قوالب من التناسبات الأنطولوجيّة وهو كائن ما بين المستويّات العليا في المقولات يحكمه مبدأ الثبات الّذي ينصّ على أنّ الإسقاط ما بين المجالات يحافظ على الأبعاد الطوبولوجيّة وعلى أنّ الغلبة للمجال الهدف والإسقاط مفرد ومتعدّد تزامنيّ محكوم بسلميّات الإرث"[22] فالإسقاط يتعدّد من عبارة استعاريّة لأخرى وتحكمها سلّميّة هي عند جورج لايكوف (George Lakoff) ثلاثيّة المستويات يرد في أعلاها الاستعارات الّتي تنتشر على نطاق واسع من حيث العصر والميدان والثقافة ويرد في أدناها طبعا الأقل انتشارا ويرد في ما بينها استعارات بين بين و "يخضع الإسقاط الاستعاريّ لمبدأ الثّبات والإسقاط نوعان بحسب المصدر والهدف: إسقاط مفهوميّ يجري ما بين مفهومين أو مجالين مفهوميّين وإسقاط الصّورة يجري ما بين صورتين ولا اعتباط في الإسقاط وإنّما هو عمليّة متجذّرة في الجسد وفي المعرفة والتّجربة ويتضمّن النّظام المفهوميّ الآلاف من الإسقاطات الاستعاريّة العاديّة منتظمة في أبنيّة مترابطة تمثّل بها فيه نظامًا فرعيّا"[23] إنّ عمليّة الإسقاط الاستعاري ليست اعتباطيّة بل إنّها عمليّة متجذّرة في الجسد والمعرفة والتجربة منها ما ورد في سياق التخاطب السّياسي الإعلاميّ في مواضع مختلفة منها ما ورد في:"وكما تفضّلت (إسرائيل) رُكِلت ركلاً في (لبنان) في الواقع وفي (سوريا) أيضاً فشلت فشلاً ذريعاً"[24] فعبارة **(إسرائيل ركلت)** قيلت في سياق هزيمة قوات جيش الدّفاع الإسرائيلي في لبنان في 2006 والواقع أنّ البنيّة التصوريّة للعبارة قائمة على أساس إسقاط مجال على مجال آخر أي استعارة معارف مجال الحيوان للدّلالة على الذلّ و الاهانة جراء هزيمة إسرائيل في حرب تموز 2006 أو كما تسمّى بحرب لبنان الثانيّة .

يعدّ التصوّر المعرفي المشابهة اللّسانيّة "إسقاطا للمشابهة التصوريّة الّتي تعدّ أساسا من أسس المقوّلة فإنّنا سنلاحظ الاستعارة في بنيّات لا تبدو كذلك للوهلة الأولى نحتاج إلى تدقيق كبير كي نضبط الجانب الاستعاري في هذه البنيّات"[25] وهذا ما نلمسه في البنيّة الاستعاريّة الواردة في : "طاهرة أحمد – ناشطة :مرحباً، إسمي "طاهرة أحمد" وأنا ناشطة

في مجال حقوق الإنسان وأعمل مدرّبة حياتية. أعتقد أنّ الفِكرة التي أودّ الإدلاء بها فعلاً هي سبب المُشكلة وسبب السماح لـ (إسرائيل) بالإفلات بفعلتها بفضل حصانتها وكيف يُعقل أنّ أياً من الأُمم والقادة لا يُندّدون بالإبادة المُستمرّة منذ أكثر من سبعين عاماً لاسيّما ما حدث خلال الأسابيع القليلة الماضية من قتلٍ فظيعٍ بدمٍ باردٍ تماماً. لماذا يحدث ذلك؟ ما القوّة أو السيطرة التي تتمتع بها (إسرائيل)؟ يشعُر البعض بالذنب لأنهم عاجزون عن التنديد بـ (إسرائيل) لكيلا يُتّهموا **بمُعاداة السّاميّة** وبسبب المحرقة"[26] فالمتأمّل في العبارة (**معاداة الساميّة**) يجد أنّ المعنى الحرفي لهذه العبارة هو ضد الساميّة أو معاداة اليهود أو إسرائيل أو أعداء ضدّ الشّعب اليهودي، ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ العبارة تحمل حمولة إيديولوجيّة مرسخة في تاريخ الإنسانيّة كما تحمل من جهة أخرى عدّة مغالطات فإسرائيل ابتدعت هذا الشّعار لإلصاق وتوجيه التّهمة إلى الشّعوب العربيّة والإسلاميّة بعدائها لليهود وهم ساميّون أيّ من سلالة سام بن نوح-عليه السلام-فهي بذلك تحاول كسب مشروعيّتها وأحقيّتها بأرض فلسطين وتحاول بالتّالي كسب الرأي العام الدّولي فهي ذريعة فقط لتخدم أغراضها السياسيّة فهذا الملفوظ الاستعاري قائم على إسقاط مجال المصدر (الساميّة) العرق والدّين على مجال الهدف وهو اليهود وإسرائيل.

و الاستعارة وسيط مهمّ بين الذّهن البشري وما يحيط به إذ هي عمليّة تنظّم لغتنا وفكرنا ونستطيع من خلالها بنينة تصوّرا من خلال تصوّر آخر، وفي هذا السّياق نجد الاستعارة الواردة في القول التّالي" سامي كليب :على كلّ حال العرب في شكلٍ عام يريدون السلام في العالم ولكن حين نرى أنّه منذ اتفاقيّات (مدريد) حتّى (أوسلو) مروراً بالتطبيع الّذي حصل، فقط شريان المستوطنات ازداد أكثر من ستمائة إلى سبعمائة مرة، **(فلسطين) مُقطّعة الأوصال** وما عاد هناك أيّة إمكانيّة لقيام دولة (فلسطين)"[27] فعبارة (فلسطين مقطعة الأوصال) قائمة على إسقاط مجال التشتّت والتمزّق على مجال اليتم للدّلالة على أنّ فلسطين متمزّقة بفعل الفصل بين الضفة الغربيّة وغزة وكذا انفصال الفصائل الفلسطينيّة واختلافها في إدارة شؤون الشعب الفلسطيني وبالتالي تشتت عائلات

بأكملها وتفرّق الوطن الواحد وهذا الإجراء اتخذته إسرائيل عمدا من أجل تكريس مبدئها (فرق تسد) وهي سياسة مدبرة لتمزيق أوصال الوطن الواحد.

إذًا تعدّ الاستعارة مكوّن من مكوّنات معمار الذّهن نفكّر بواسطتها أيّ عمليّة ذهنيّة تقوم على التّقريب بين موضوعين وهذا ما نراه في القول الآتي:"سامي كليب :أخي "علي"، نُلاحظ أنّ في (اليمن) رغم كلّ ما حصل من تدمير لهذا البلد العريق والجميل ذو التاريخ في الواقع، ذو التاريخ الغارق والضارِب في القِدَم، نُلاحظ أنّ الشعب اليمني لا يزال مهما اختلف وضعه بين فريق وفريق إلّا أنّ (**فلسطين) تبقى البوصلة**، صحيح؟"[28]فالبنيّة الاستعاريّة (**فلسطين تبقى البوصلة**) تم تشبيه أرض فلسطين بالبوصلة والمعلوم أنّ البوصلة هي أداة لتحديد ومعرفة الاتّجاه وإذا ما حاولنا تفكيك العبارة وبالاستناد إلى سياق ورودها في الخطاب نجد أنّ فلسطين هي بوصلة العرب ووجهتهم بمعنى أنّ قضيّة فلسطين وجرحها النازف لابد أن تكون دارة العرب وغايتهم وهدفهم تحريرها.

إنّ أغلب ملفوظات الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ استعاريّة فعلى أساسها يبني الخطيب السّياسي خطابه حتى يعبّر عن رؤاه وتصوراته وتبليغ مقاصده"فالتخاطب الناجح يتوقّف على إدراك معنى الاستعارة وضمنيّاتها التداوليّة ويكون للاستعارة قوّة تحريكيّة عندما يفهم المخاطب المعنى وضمنيّاته التداوليّة في إطار المرجعيّة الّتي قيل فيها فيتوقّع أو يستنتج انتظارات المتكلّم "[29] وهذا ما يتّضح في الملفوظ التّالي : "سامي كليب : ....هل **فلسطين** قضيّة محوريّة فعليّا لدى إيران أم أنّها **شماعة** لتوسيع دورها وهيمنتها كما يتهمها خصومها"[30] فلا يمكن فهم البنيّة الاستعاريّة (فلسطين شماعة بالنسبة لإيران) استنادا إلى معناها الحرفي فقط بل يتطلّب الانتقال إلى المعنى الثّاني بمعيّة السّياق؛حيث يعتبر المتكلّم أرض فلسطين بالنّسبة لإيران بمثابة شمعة تنيرها متى شاءت أيّ حين تريد ذلك بمعنى أنّ فلسطين بالنّسبة لإيران قد تشكّل أحيانا قضيّة محوريّة لها وفي أحيان أخرى تتجاهلها ولا تدافع عنهاوالمعلوم أنّ إيران هي المموّل لمحور المقاومة ضد إسرائيل فيكون المتكلّم قد جمع بين مجالين متباعدين ولكن متشابهين على أساس التناسب في خصائصهما المشتركة.

نلمس في هذا الملفوظ الاستعاري الآتي" يوسف الحو : ...يفصل السياج الحدودي الجانب الفلسطيني عن سائِر (فلسطين) المُحتلّة لذا يعتبِر الفلسطينيون **السياج لعنة وإهانة** تمسّ بهم"[31] ورود استعارة **(السياج لعنة وإهانة)** الّذي تلفظ بها الخطيب السّياسي في سياق التواصل السّياسي حول قضيّة جوهريّة تتمثّل في القضيّة الفلسطينيّة والخناق المفروض على الشّعب الفلسطيني من خلال الجدار الفاصل الّذي بنته إسرائيل لفصل الفلسطينيّين في قطاع غزّة والضفة الغربيّة فنلاحظ أنّ الفضاء الجامع يتمثل في مجال الذل والهوان فهو يصف معاناة الفلسطينيّين في ظل هذا الحصار المفروض عليهم من قبل إسرائيل اللّعينة كما يسمّيها الفلسطينيّون وأمام صمت المجتمع الدّولي.

4-المزج التصوّري والانبثاق الاستعاري

قامت نظريّة المزج التصوّري (Conceptual Blending theory) والّتي أرسى دعائمها جيل فوكوني(Gilles Fauconnier) ومارك تيرنر (Mark Turner) في كتابهما (في ما به نفكّر The Way We Think) على الأسس النظريّة نفسها لنظريّة الاستعارة التصوريّة لكنّها تقدّم تصوّرا آخر لاشتغال الذّهن البشري ولبناء الاستعارة فنظام تفكيرنا قائم على بناء الأفضيّة الذهنيّة والرّبط بينها، فالتّفكير ذاته هو دمج بين فضاءات ذهنيّة مختلفة ويعرّفها جيل فوكوني (Gilles Fauconnier) ومارك تيرنر (Mark Turner) بأنّها الخانات التصوريّة الصّغرى الّتي من خلالها نستطيع أن نفكّر ونتكلّم [32] سعت هذه النظريّة أيضا إلى الاعتناء و تشييد المعنى وتشكيل المعرفة فالدّمج التصوّري عبارة عن فعل معرفي وإجراء ذهني إنّه عمليّة بناء فضائيّة تتولّد عن التفاعل بين الفضاءات ذلك أنّ نشأة المعنى وفهمه بصفة عامة يحصلان في مستوى الفضاءات الذهنيّة (Mental spaces) وتعلق بعضها ببعض لا في مستوى الألفاظ وأنّ قلب قدرة البشر العرفانيّة على إنتاج المعنى وتحويله وإجرائه هو مفهوم الإسقاط بين المجالات[33]وعلى هذا فمقاربة جيل فوكوني (Gilles Fauconnier) للاستعارة تندرج في إطار بحثه في مسألة المعنى في الخطاب إذ يرى " أن العبارة اللغويّة لا تحمل معنى في ذاتها ذلك أن إنتاج المعنى لايتمّ إلا في خطاب تام وفي سياق والخطاب حسبه تمظهر سطحيّ لمجموعة معقّدة من البنى العرفانيّة تضم مجالات مبنينة تقوم بينها روابط

وهذه البنى العرفانيّة تتعالق في الخطاب وتتتابع بالاستناد إلى النحو والسّياق فتؤدّي الواحدة منها إلى الأخرى"[34] فإنتاج المعنى وتأويله وفق نظريّة المزج التصوّري لجيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) يقوم على النّظر في الخطاب الاستعاري من خلال تلك البنى الاستعارية التي تضم مجالات مبنينة والّتي تتعالق بروابط تحكمها قواعد النحو مضافة إليها ظروف السّياق ويحدّد جيل فوكونيي (Gilles Fauconnier) وتيرنر (Mark Turner) الفضاءات الذهنيّة بأنها زمر تصوريّة صغيرة تبنى عندما نفكّر ونتكلّم بغرض الفهم والسلوك الموضعيّين والزمر هي تجمّعات جزيئيّة جدا تحوي عدّة عناصر تبنى بواسطة أطر ونماذج ذهنيّة يُنشئها الدّماغ وترابط فيما بينها ويمكن إدخال تعديلات عليها مع نمو التّفكير والخطاب[35] فالمزج ملكة عرفانيّة يقوم عليها اشتغال الذّهن بطريقة عفويّة أثناء الكلام فملكة المزج تتّسم بالآنيّة بمعنى أنّها عمليّة تتمّ أثناء الكلام وليس قبلها ولا بعدها فنظريّة المزج هي محاولة تفسير قدرة الإنسان على التّجديد والدّمج عبر شبكات المعنى ونلمس ذلك في الخطاب السّياسي؛ حيث يوظّف الخطيب السّياسي مجموعة من الاستعارات للتّعبير عن رؤاه وتصوّراته وتبليغ مقاصده ومن بينها نجد"سامي كليب:سنُكمل الآن بأسئِلة أُخرى حول ما حصل في السنوات العشر الأخيرة مما وُصِف **بربيعٍ عربي**، البعض قال هذا ربيع وهذا حسّن الأوضاع وفتح مجال الحريات والديمقراطية والبعض الآخر اعتبره مؤامرة. مَن يُريد أن يُجيبني كيف ينظر إلى "**الربيع العربي**"؟ حضرتك؟"[36] ففي عبارة (**الربيع العربي**) يتمثّل الفضاء الجامع في مجال الثّورة أما الفضاءان الدّخلان فهما فضاء الربيع (فضاء دخل1) وفضاء الانتفاضة العربيّة لإسقاط النّظام الفاسد (فضاء دخل2) وهذين الفضاءين قائمان على الإسقاط أيّ التناسب بين فصل الربيع في النّماء والازدهار والحياة الجديدة والانتفاضة العربيّة المطالبة بإسقاط النّظام والعيش في حياة أفضل.

ويبسّط زولطان كوفيتش (z.kovecs) أكثر في مفهوم الفضاء الذّهني بالقول إنّه زمرة تصوريّة تبنى آنيّا؛ أيّ في لحظة الفّهم أو أثناء فعل التواصل [37] ولهذا يمكن القول بأنّ

الفضاءات الذهنيّة تتميّز عن المجالات التصوريّة من حيث التّعميم والتّخصيص وهناك باحثين وسّعوا نظريّة المزج التصوّري هذه وأعطوا مكانة مهمّة للسّياق في إنتاج الاستعارة وفهمها ويتعلّق الأمر بالبّاحث لين براندت وبير آجبراندت (Line brandt & per Age brandt ، حيث قدّما "تصوّرا جديدا لتناول الاستعارة وفهم الضّمني الّذي يؤدّيه في سياق تداولها في إطار تخاطبي" [38] فلا معنى للاستعارة خارج سياقها التلفّظي الفعلي وهذا ما نجده في " علي حمزة :نعم، وكان هدفه واضحاً جداً وهو إثناء الدول عن القضية الفلسطينية. ما حدث في (سوريا) وما يحدُث واضح جداً. النقطة الأهم هي مُحاولة الضغط علينا كعرب لقبول **صفقة القرن** والأسوأ من هذا أنّه يتمّ الضّغط من قوى إقليميّة وبعض القوى العربية. مثلاً، رغم رفض بعض الدول العربية نهائياً لهذه الصفقة ومن ضمنها (مصر) نجد دولاً أُخرى تضغط للقبول"[39] فعبارة صفقة القرن تحمل معان ضمنيّة نتوصل إلى تأويلها وفهمها بمعيّة السّياق؛ حيث يتمثّل الفضاء الجامع في مجال السّلام أمّا الفضاءين الدّخلان فهما فضاء الصفقة (فضاء دخل1) وفضاء التّجارة (فضاء دخل2) القائمان على الإسقاط بالتناسب بين فضاء الصفقة والتجارة حيث يصبح السّلام في المنطقة العربيّة بمثابة تجارة قرّرتها أمريكا وتنفذها الدّول العربيّة بشأن ما تبقّى من فلسطين لإنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطينيّ فينبثق بفعل الجمع بين الفضاءين فضاء اندماجي وهي السّلام تجارة.ولقد بسط فيفيان ايفانز (evans vyvyan) الفضاءات الذّهنيّة في كونها نطاقات (حيّز محدود) لفضاء تصوّري تحتوي أنواعا محدّدة من المعلومات هذه الفضاءات تبنى استنادا على استراتيجيّات توظيف معلومات معمّمة لغويّا وتداوليّا وثقافيّا[40] فللبعد الثقافي والتداوليّ أهميّة في استعاراتنا فهي على أساسها يقوم فهم كلامنا الاستعاري خصوصا ما يتعلّق باللّغة السّياسيّة.

5-خاتمة: كانت هذه الدّراسة مقاربة تحليليّة للبنى الاستعاريّة في الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ من خلال برامج سياسيّة إعلاميّة؛ حيث تَبَيّن لنا من خلال المقاربة العرفانيّة أنّ الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ مشبّع بالاستعارات أو لنقل شكّلت الاستعارة لبّه فعليها

يتأسّس بناؤه وعلى إثرها يتوقّع الخطيب السّياسي بلوغ مقاصده والتّأثير على مخاطبه واستهداف تصوّراته وإقناعه ولقد توصّلت الدّراسة إلى مجموعة من النتائج أبرزها:

- لم تعد الاستعارة مظهر أسلوبي بل أضحت آلية ذهنيّة تتحكّم في ممارساتنا اليوميّة وكذا نظامنا التصوّري، وهذا ما لمسناه من خلال إتباعنا مقاربتي جورج لايكوف وجيل فوكوني في التّحليل؛ حيث تبيّن معنا أنّ الاستعارة بنية لغويّة متشكّلة سياقيّا ومقاميّا ونمطا فكريا يشكّل معارفنا حول عوالمنا اليوميّة؛
- تمثّل الاستعارة آليّة مهمّة يوظّفها الخطيب السّياسي في إقناع مخاطبه والتّأثير فيه؛
- الخطاب السّياسيّ الإعلاميّ محكوم بالبنى التصوريّة المسئولة عن الاستعمال والتفكير والفهم وبناء المقولات؛
- اللغة السياسيّة قائمة على مجموعة من المفاهيم والتصوّرات والّتي تقوم أغلبها على الاستعارة المعتمدة على تقابلات وتناسبات بين مجالات محسوسة وأخرى مجالات تجريدية؛
- تخضع الاستعارات لثقافة الخطيب السّياسيّة والإيديولوجيّة؛
- تخضع الاستعارات للمقاصد بحيث يوظّفها الخطيب السياسيّ عن قصد ووعي منه؛
- أثبتت الدّراسة أهميّة ودور السّياق في انبثاق استعارات جديدة في الخطابات السّياسيّة الإعلاميّة بالإضافة إلى دوره في فهم دلالة الاستعارة ومقاصد الخطيب السّياسيّ.

الهوامش:

[1]- صالح بن لهادي رمضان، النّظريّة الإدراكيّة وأثرها في الدّرس البلاغي -الاستعارة أنموذجا-، ندوة الدّراسات البلاغيّة: الواقع والمأمول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، ص867-868.

[2]-وسيمة نجاح مصمودي، المقاربات العرفانيّة وتحديث الفكر البلاغي ، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، 2017م ص79.

[3]-المرجع نفسه ، ص84.

[4]-عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة دراسة بيولوجيّة تطوريّة، ط1، دار كنوز المعرفة للنّشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2017م، ص402.

[5]-ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الفلسفة في الجسد، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2016م، ص190.

[6] -محمد الصلح البوعمراني، السيميائيّة العرفانيّة (الاستعاري والثقافي)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015م ، ص 1.

[7] -جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط2، دار توبقال ، الدار البيضاء، المغرب، 2009م، ص189.

[8]-الأزهر الزناد، نظريّات لسانيّة عرفنيّة، ط1، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، دار محمد علي للنشر ، لبنان، 2010م، ص158.

[9] - محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصوريّة وتحليل الخطاب السّياسي، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2015م، ص15.

[10] -عبد العالي العامري، الاستعارة التصوريّة وبناء المعنى في ضوء اللّسانيّات المعرفيّة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2018م، ص2.

[11] -عمر بن دحمان، نظريّة الاستعارة التصوريّة والخطاب الأدبي، ط1، دار رؤيا للنّشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2015م، ص77.

[12] -وسيمة نجاح مصمودي، المرجع السّابق، ص12.

[13] -عمر بن دحمان، المرجع السّابق، ص84.

[14]- ينظر: محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصوريّة وتحليل الخطاب السّياسي، المرجع السّابق، ص20-21.

[15] -ينظر: محمد مفتاح، مجهول البيان، ط1، دار توبقال ، الدار البيضاء، المغرب، 1990م، ص8.

[16] -عمر بن دحمان، المرجع السّابق، ص109.

[17] -الحبيب المقدميني، التّحليل الدّلالي في المقاربة العرفانيّة ، ضمن كتاب : دراسات في اللّسانيّات العرفانيّة الذّهن واللّغة والواقع، تحرير : صابر الحباشة، ط1، دار وجوه للنّشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، 2019م، ص106.

[18] -محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصوريّة وتحليل الخطاب السّياسيّ، المرجع السّابق، ص186.

[19] ينظر: المرجع نفسه، ص13

[20]-الأزهر الزناد، المرجع السّابق، ص157.

[21]-المرجع نفسه، ص146.

[22]-المرجع نفسه، ص145

[23] -المرجع نفسه، ص158.

[24]-برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة: هل العراق ضحيّة ساسته أم التدخلات الخارجية؟، تاريخ الزيارة: ديسمبر2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=5cAs5KH19LE

[25]-عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، مقاربة معرفية، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 2001م، ص64.

[26] -برنامج كلمة حرة ، عنوان الحلقة: الذكرى لـ 70 للنكبة الفلسطينيّة، تاريخ الزيارة: ديسمبر2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=nf2jIhdeoj0.

[27] -برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة: كيف يفكر الشباب العربي بالمقاومة والعروبة وصفقة القرن؟، تاريخ الزيارة : نوفمبر 2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=dtm7UC7pFro.

[28] - برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة: كيف يفكّر الشباب العربي بالمقاومة والعروبة وصفقة القرن؟، تاريخ الزيارة : نوفمبر 2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=dtm7UC7pFro.

[29]-محمد الصالح البوعمراني، المرجع السّابق، ص28.

[30] -برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة: إيران مقلقة أم ضحيّة؟، تاريخ الزيارة: أكتوبر2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=TXRmJSLxV1w.

[31] - برنامج كلمة حرة ، عنوان الحلقة: الذكرى لـ 70 للنكبة الفلسطينيّة، تاريخ الزيارة: ديسمبر2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=nf2jIhdeoj0.

[32]-ينظر: محمد الصالح البوعمراني، المرجع السّابق، ص17.

[33]-ينظر: وسيمة نجاح مصمودي، المرجع السّابق، ص114.

[34]-المرجع نفسه، ص 151-152.

[35]-ينظر: عبد الرحمن طعمة، المرجع السّابق، ص417.

[36]-برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة: كيف يفكّر الشباب العربي بالمقاومة والعروبة وصفقة القرن؟، تاريخ الزيارة : نوفمبر 2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=dtm7UC7pFro.

[37]-ينظر: عبد الرحمن طعمة، المرجع السّابق، ص418.

[38] - محمد الصالح البوعمراني، المرجع السّابق، ص26.

[39] -برنامج لعبة الأمم، عنوان الحلقة : كيف يفكّر الشباب العربي بالمقاومة والعروبة وصفقة القرن؟، تاريخ الزيارة : نوفمبر 2019م، الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=dtm7UC7pFro.

[40]-vyvyan evans and Melanie green, cognitive linguistics an introduction Edinburgh unipress,1sted,2006, p157.

*** *** ***